الحوار القرآني في سورة نوح

دراسة أسلوبية

أ.د/ عبد الحميد هنداوي

الأستاذ بقسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

كلية دار العلوم – جامعة القاهرة

تمهيد

لا تزال قضية الإعجاز القرآني تشغل بال الباحثين والدارسين إلى يومنا هذا، ولا عجب في ذلك فالقرآن هو الكتاب الخالد الذي لا تنقضي عجائبه؛ وهو كلام العزيز الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وقضية الإعجاز الأسلوبي للقرآن الكريم هي من القضايا التي لم تنل القدر الكافي من عناية الباحثين بها، فلا تعدو دراسات الباحثين في هذا المجال أن تكون مجرد إشارات سريعة عاجلة، أو مجرد خواطر ولمحات عند بعض الكلمات القرآنية، فضلاً عن أن الذين تعرضوا لدراسة هذا الموضوع لم يتعرضوا لدراسته من جميع جوانبه، وإنما اقتصرت دراساتهم على بعض المستويات اللغوية دون بعض ، حيث يغلّب البعض الاهتمام بالدلالة المعجمية للكلمة القرآنية دون نظر إلى التوظيف الفنيِّ لهذه الكلمة ومدى مناسبتها لسياقها ومقامها الذي وردت فيه ، كما يغلب

على بعضها الآخر النظر إلى العلاقات النحوية المتحكمة في نظم الكلمات القرآنية بعضها ببعض.

وثمة ندرة شديدة في الدراسات التي تهتم بالنظر إلى التوظيف الفنيِّ لصيغة الكلمة ، أو باستثمار الإيحاءات الفنية للتشكيل الصوتي لها ، وهذان المجالان على أهميتهما لا نجد كبير اهتمام بهما ؛ ورغم كثرة الدراسات في المجال الصوتي ؛ فإن كثيرًا من الدراسات التي تمحضت لدراسة الأصوات في القرآن قد اقتصرت في دراستها على الدراسة البحتة للأصوات ــ (سواء كان في إطار علم الأصوات، أو في إطار علم القراءات القرآنية وتجويد القرآن) ــ ولم تقم باستثمار تلك الدراسات أو تطويرها لبحث الأثر الجمالي أو الدلالة الفنية لتلك الأصوات أي إنه لم يحدث ربط بين تلك الدراسات وعلم البلاغة أو الأسلوب في الغالب.

لذلك فقد رأيت وفي ضوء تلك الطفرة البحثية الحديثة في الدراسات الجمالية للغة القائمة على الإفادة من الدراسات الأسلوبية ــ ضرورة استثمار الدرس اللغوي الأسلوبي المعاصر لاستخراج كافة الإمكانات والطاقات اللغوية الثرَّة للنص القرآني.

وإذا كان "الكلام بالطبع يتركب من ثلاثة: حروف هي من الأصوات، وكلمات هي من الحروف، وجمل هي من الكلام. وقد رأينا سر الإعجاز في نظم القرآن يتناول هذه كلها بحيث خرجت من جميعها تلك الطريقة المعجزة التي قامت به؛ فليس لنا بد في صفته من الكلام في ثلاثتها جميعًا"[١].

وإذا كان المتكلم في إعجاز القرآن ليس له بد من الكلام في هذه المستويات ؛ إذا فنحن أمام ثلاث مستويات على مستوى الكلمة المفردة ، وأمام مستوى رابع على مستوى الجمل والتراكيب — هو المستوى النحوي .

فمن ثم يعنى البحث الأسلوبي بهذه المستويات الأربع :

(١) المستوى الصوتي.

(٢) المستوى المعجمي.

(٣) المستوى الصرفي .

(٤) المستوى النحوي.

ومن ثم ظهرت الحاجة ملحة لدراسات أسلوبية للإعجاز القرآني تشمل هذه المستويا جميعها ، خاصة مع

قلّة الدراسات التي تعنى بهذين الجانبين من جوانب البحث الأسلوبي للقرآن الكريم – أقصد ما يتعلق بالجانبين الصوتي والصرفي من جوانب دراسة الكلمة القرآنية.

وقد رأيت ضرورة التقديم بين يدي البحث بدراسة نظرية موجزة تؤصل حقيقة الإعجاز القرآني وتبين حدَّه ووجوهه وآراء العلماء في ذلك .

حقيقة الإعجاز القرآني:

تتعدد وجوه الإعجاز القرآني وتتنوع تنوعا كبيرا ، وللعلماء في عدِّ تلك الوجوه وبيانها أقوال وآراء ، ما بين موسِّع ومضيِّق ، الأمر الذي يدعونا إلى ضرورة الوقوف على أقوال هؤلاء العلماء في حدّ الإعجاز وحقيقته .

الإعجاز : مصدر قولك أعجزه الشيء إعجازًا فهو معجز له، يقال: أعجزه الشيء، أي: عجز عنه[٢]. وأعجز الشيء فلانا، أي: فاته و لم يدركه، والمعجزة: أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي تأييدًا لنبوته[٣].

ومن ثم فالمقصود بإعجاز القرآن هو كونه مما يعجز الناس عن الإتيان بمثله، ولذا وقع التحدي من الله تعالى للإنس والجن أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا.

وعلى هذا جاء تعريف العلماء للإعجاز والمعجزة:

جاء في الإتقان "اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، وهي إما حسية و إما عقلية"[٤].

ومعنى ذلك أننا إذا نظرنا إلى إعجاز القرآن من جهة لغته فإنه يشترط في لغة القرآن أن تكون خارقة لعادة البشر في كلامهم وتخاطبهم بحيث يتعذر عليهم التكلم بمثل ما في القرآن، ولذا قال الباقلاني: "معنى العجز عندهم: تعذر فعل مثله"(٥).

وقد فسر الجرجاني الإعجاز بأن يعلم الناس: "أن الذي سمعوه فائت للقوى البشرية، ومتجاوز للذي يتسع له ذرع المخلوقين"(٦).

ويفسر الرماني معنى كون القرآن خارقا للعادة أو ناقضا لها فيقول: "وأما نقض العادة فإن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام المعروفة، منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق كل طريقة"(٧).

ويقول الجرجاني في ذلك: "والشرط في المزية الناقضة للعادة أن يبلغ الأمر فيها إلى حيث يبهر ويقهر حتى تنقطع الأطماع عن المعارض..... وحتى يكون يأسهم منه وإحساسهم بالعجز عنه في بعضه مثل ذلك في كله"(٨).

كما يشترط في نقض العادة كذلك "أن يعم الأزمان كلها[٩]".

فبشهادة هؤلاء البلاغيين، ومن قبلهم ما تواتر عن العرب الذين نزل فيهم القرآن وهم ذوو لَسَن وفصاحة بلاغة ــ نعلم تحقق كونه خارقًا للعادة في نظمه ومعانيه وفصاحته وبلاغته، وهذا هو الشرط الأساسي في كونه معجزًا.

وأما اشتراط كونه مقرونًا بالتحدّي فعلى افتراض صحة لزوم هذا الشرط لمعنى المعجزة، فإنا نقول إن القرآن جاء مقرونًا بالتحدّي الواضح للإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله مفتريات أو بسورة من مثله قصيرة أو طويلة، وهذا التحدّي واقع للخلائق إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا(٨٨)﴾[الإسراء: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٣٨)﴾[يونس:٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٢٣)﴾[البقرة: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(١٣)﴾[هود:١٣].

وأما ما اشترط من كون المعجزة سالمة عن المعارضة، فهذا ثابت واضح و لم يأت من عارض القرآن إلا بالمضحكات من نحو: "والطاحنات طحنًا.. والعاجنات عجنًا" ونحوه من السخافات.

ومعلوم واضح أن معجزة القرآن معجزة عقلية ترجع إلى تأمل معانيه وأسراره وهذا أبلغ وأدل في باب الإعجاز من المعجزات الحسية المادية التي أوتيها النبيون قبل محمد ـصلى الله عليه وسلم.

ولذلك يرى ابن خلدون "أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن الكريم المترل على نبينا محمد ﷺ فإن الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه والقرآن هو بنفسه

الوحي المدعى والخارق المعجز، فشاهده في عينه ولا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه، وهذا معنى قوله ﷺ: ما من نبي من الأنبياء إلا وأوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحي إلي فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة"[١٠]، يشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان الصدق لها أكثر وضوحًا.

وإذا كانت المعجزة أمر خارق للعادة فهي آية أو علامة على كونها من عند الله العلي القدير ومن ثم سمى القرآن الكريم آياته آيات باعتبارها معجزات دالة على كونها من لدن حكيم خبير، ومن ثم فإن معجزة القرآن يتحد في آياتها الدليل والمدلول كما يقول ابن خلدون، ويصدق ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ(٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(٥١)**﴾[العنكبوت: ٥٠-٥١].

فالقرآن يبين أن الكفار قد طلبوا أن يترل على النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ آيات أي معجزات حسية مادية كما أنزل على النبيين من قبله، والقرآن يرشدهم إلى أعظم معجزة أنزلها الله تعالى على الإطلاق حيث جعل فيها الكفاية عما عداها من المعجزات، فيقول سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(٥١)﴾[العنكبوت:٥١].

فمعجزة القرآن كافية ومغنية عما سواها، وما سواها ليس مغنيًا عنها.

إعجاز القرآن بناء على القول بالصرفة:

وإذا كان هناك من ذهب إلى أن إعجاز القرآن إنما هو بالصرفة أي بأن الله تعالى صرف قلوب العباد عن التوجه لمعارضته[١١]؛ فإن في كلام عبد القاهر السابق وغيره من البلاغيين ردًّا على هؤلاء ببيان الوجه الخالد لإعجاز القرآن، وهو كونه قد بلغ من جماله ورونقه وحسن بيانه حدًا يبهر الناظر فيه، ويقهر المعاند له، ويقطع أطماعه عن الطموح لمعارضته أو مطاولة بيانه ونظمه.

كما نجد في كلام عبد القاهر أيضا ما يمكن أن نسميه بتصحيح القول بالصرفة نقصد بذلك الدلالة على نوع آخر من الصرفة هو أولى من المدّعى وأحق به، وهو رد الصرفة إلى قوة ظاهرة بينة يقر بها الخصم، بدلاً من رد ذلك إلى قوة خفية غير مرئية لا يسلم بها الخصم ولا دليل يقوم عليها. بمعنى أن يقال إن القرآن قد بهر الناس بجماله ورونقه وحسن بيانه، فقهر نفوسهم، وقطع أطماعهم، وأوقع في نفوسهم اليأس من مجاراته، والتفكير في معارضته حتى لا يخطر لهم ذلك ببال، ولا تحدثهم به أنفسهم، فسرّ هذه الصّرفة إنما يرجع لما يرى الناس من بلاغة القرآن وفصاحته وجمال نظمه، فهي صرفة بيانية ترجع إلى أسباب ظاهرة يعرفها الخصم ويقر بها.

أما الصرفة المدعاة فمردها إلى أمر مجهول وقوة خفية، بحيث لا يدري الشخص ما الذي يحول بينه وبين معارضة القرآن، أو يستشعر بأن قوة ما تحول بينه وبين معارضته، وهو يعلم في قرارة نفسه أنه لو خلّي بينه وبين تلك المعارضة لقدر عليها ولتمكن منها، ولا شك أن القول بهذه الصرفة باطل لا محالة من وجوه عديدة ليس هنا محلّ بسطها، ولكننا نذكر أهم تلك الوجوه:

فمنها أنه يلزم من القول بذلك القول أن الإتيان بمثل كلام الله هو في مقدور البشر واستطاعتهم لو خلّى بينهم وبين معارضته لولا صرف الله تعالى لهم، وفي هذا من البطلان ما فيه، من إبطال وجه من أهم وجوه إعجاز القرآن بلا داع، ومن القول بإمكان مشابهة كلام المخلوق لكلام الخالق الذي هو صفة له، كما يلزم من ذلك أيضا القول بعجزه سبحانه أن يأتي بكلام معجز، لأنه على لازم كلامهم قد عجز عن أن يكون كلامه معجزا بنفسه، فأعجز الناس قهرا عن محاولة مشابهته ومعارضته.

هذا وقد رد القول بالصرفة عامة البلاغيين قديما وحديثا خلا المعتزلة ومن نحا نحوهم[١٢]. ورغم اعتزال الجاحظ فإنه لحسه البلاغي لم يستطع مشايعة النظام قبله في القول بالصرفة هذا، ومن الجدير بالذكر أن ننوه بعرض أ/ محمود شاكر لهذه القضية في كتابه (مداخل إعجاز القرآن) عرضا تاريخيا لا يخلو من نقد ورأي وتحليل ثم قال في نهاية عرضه: "وهذا الذي اقتصصته لك، تاريخ مختصر أشد الاختصار، ولكنه مجزئ في الدلالة على تحديد معنى (إعجاز القرآن) بالمعنى الذي يفهم من هذا اللفظ على إطلاقه، ومجزئ في الدلالة على هذا (الإعجاز) من أي وجوه

الإعجاز كان إعجازًا، وإنه ليكشف عن أمور لا غنى لدارس عن معرفتها:

الأول: قليل القرآن وكثيره في شأن (الإعجاز) سواء [١٣].

الثاني: أن (الإعجاز) كائن في رصف القرآن وبيانه ونظمه، ومباينة خصائصه للمعهود من خصائص كل نظم وبيان في لغة العرب، ثم في سائر لغات البشر، ثم في بيان الثقلين جميعًا ــ إنسهم وجنهم متظاهرين.

الثالث: أن الذين تحداهم بهذا القرآن، قد أوتوا القدرة على الفصل بين الذي هو من كلام البشر، والذي هو ليس من كلامهم.

الرابع: أن الذين تحداهم به كانوا يدركون أن ما طولبوا به من الإتيان بمثله، أو بعشر سور مثله مفتريات، هو هذا الضرب من البيان، الذي يجدون في أنفسهم أنه خارج من جنس بيان البشر.

الخامس: أن هذا التحدي لم يقصد به الإتيان بمثله مطابقًا لمعانيه، بل أن يأتوا بما يستطيعون افتراءه واختلاقه من كل معنى أو غرض، بما يعتلج في نفوس البشر.

السادس: أن هذا التحدي للثقلين جميعًا انسهم وجنهم متظاهرين، تحد مستمر إلى يوم الدين.

السابع: أن ما في القرآن من مكنون العيب،ومن دقائق التشريع، ومن عجائب آيات الله في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز، وإن كان ما فيه من ذلك يعد دليلاً على أنه من عند الله تعالى، ولكنه لا يدل على أن نظمه وبيانه مباين لنظم كلام البشر وبيانهم، وأنه بهذه المباينة كلام رب العالمين، لا كلام بشر مثلهم.

الإعجاز الأسلوبي للقرآن الكريم:

قد يظن لأول وهلة أننا نقصد بالإعجاز الأسلوبي للقرآن الكريم ذلك النوع من الإعجاز الذي أبدأ فيه أسلافنا القول وأعادوا من جهة النظر في أساليب القرآن خبريها وإنشائيها وما تشتمل عليه من وجوه الفصاحة والمعاني والبيان والبديع مما أفاضت فيه دراسات تنأى عن الحصر في القديم والحديث ؛ فالحق أن هذا كلّه داخل بلا شك فما تعنيه هذه العبارة ، وهذا كلّه لا يخرج عن وجوه الإعجاز التي اتفق سلف العلماء وخلفهم على وقوع الإعجاز فيها ؛ ولكننا نقصد بهذه العبارة أبعد من ذلك ؛ إذ نقصد بها اعتماد منهج البحث الأسلوبي في دراسة النصوص الأدبية على اتساع مجالاته اللغوية واللسانية وتعدد إجراءاته التطبيقية مما يستدعي أن نقف أولا على تحديد معنى الأسلوب وبيان مستوياته الدلالية وإجراءاته التطبيقية قبل خوض غمار هذا البحث .

تعريف الأسلوب :

الأسلوب له محاور ثلاثة هى المرسل والمستقبل والرسالة[١٤].

فثمة طائفة نظروا إلى الأسلوب من جهة المرسل باعتبار ما بينهما من تلاحم تام، حيث تم "إدماج المولف صاحب الاختيار فى تعريف الأسلوب على أنه اختيار"[١٥].

حتى إن أصحاب هذا الاتجاه قد طابقوا بين الأسلوب وصاحبه فقالوا: "الأسلوب هو الرجل"[١٦].

فالأسلوب على ذلك ما هو إلا سمات تعبيرية مميزة لصاحبه، فالمبدع يختار ويؤثر من الوسائل التعبيرية التي يختارها من بين أنماط اللغة العديدة ما يصير سمة مميزة له، وعلما دالا عليه، وبصمة خاصة أو صوتا ينفرد به لا يختلط بغيره من الأصوات؛ ومن ثم عرّفوا الأسلوب بأنه:

"اختيار واع يسلطه المؤلف على ما توفره اللغة من سعة وطاقات"[١٧].

أو هو "طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني بقصد الإيضاح والتأثير..."[١٨].

وعلى أساس تلك النظرة إلى الأسلوب تشابهت تعريفات الأسلوبيين الذين نظروا إليه من جهة المبدع، (**فجيرو**) تلميذ (**بالى**) يعرف الأسلوب بأنه "هو مظهر القول الذي ينجم عن اختيار وسائل التعبير. هذه الوسائل

التي تحددها طبيعة ومقاصد الشخص المتكلم أو الكاتب" ونادى كذلك بتصور الأسلوب على أنه اختيار ماروزو، روسل، هل، ديفوتو، أنطوانى، كريسوت وغيرهم[١٩].

والحق "أن الأصول النظرية لهذا الاتجاه الذي نحن بصدده تتجذر فى تفرقة (**دوسوسير**) العالم اللغوي الشهير بين اللغة والكلام[٢٠].

فاللغة عند سوسير هي مجموعة النظم والرموز المجردة المختزنة في أذهان أبناء الجماعة اللغوية الواحدة، أما الكلام فهو التحقق الفعلي لتلك النظم والرموز في استعمال (**منطوق أو مكتوب**) بعينه[٢١].

فاللغة هي المعين الذي يغترف الجميع منه، أو قل هي الأصباغ التي يأخذ منها المبدعون جميعا ولكنهم يشكلونها في صور شتى بحسب ما يتميز به كل منهم من سمات الفن وخصائصه، ولا شك أن للاختيار المناسب للصيغ ووضعها موضعها من الصورة أثرا لا ينكر فى تشكيل تلك الصورة وتميز مبدع عن آخر، مع اتحاد مادتهما؛ ومن ثم يتلاقى الدارسون الذين نظروا إلى الأسلوب من هذه الزاوية فى تعريف الأسلوب بأنه اختيار.

ويوضح أ/ الشايب حقيقة الاختيار ببيان" أن **الأسلوب الأدبي ينحل إلى عناصر ثلاث:**

١- الأفكار

٢- والصور

٣- والعبارات

وهذا الذي ذهب إليه الأسلوبين المحدثون لا يكاد يختلف كثيرًا عما قرره علماء البلاغة قديمًا ، فهذا التميز أو التفرد الأسلوبي - الذي يتميز به المستوى الفني من الكلام - هو ما عبر عنه البلاغيون القدامى بحسن التخير للفظ؛ حتى إن بعضهم قد قصر البلاغة على حسن التخير.

وهذا ما انتهى إليه كلام عبد القاهر فى تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك، حيث ينتهي كلامه فى هذا المقام إلى أنه (لا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتى المعنى من الجهة التى هى أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذى هو أخص به...)[٢٢].

العدول الأسلوبي :

إذا كان هؤلاء الأسلوبيون قد عرفوا الأسلوب على أنه اختيار فإن أكثر الأسلوبيين قد نظروا إلى الأسلوب على أنه نوع من العدول أو ما سموه بالانحراف أو الانزياح أو المجاوزة ونحو ذلك مما يقصد به التعبير عن خروج الكلام عن المألوف أو الشائع ومجاوزته إياه .

ونستطيع أن نلمح وقوف البلاغيين على هذا الانحراف واعتماده لديهم أساسا للكشف عن التوظيف البلاغى للكلمة وهو ما أطلق عليه فى تراثنا البلاغى مصطلح العدول. فإذا كانت البلاغة ترجع فى سائر تعريفات البلاغيين التى سبق ذكرها إلى حسن تخير اللفظ، فإنه مما يجدر بنا التنبيه إليه أن هذا التخير أو الاختيار للفظ يمثل فى غالب الأحيان أنواعا من العدول.

فالاختيار فى حقيقته إنما هو عدول عن المستوى النمطى أو العادى من اللغة إلى المستوى الفنى من الكلام وقد يمثل تخير اللفظ نوعا من العدول عن النظام اللغوى أو عن الاستخدام الشائع، أو عدولا داخليا وهو ما يسميه ريفاتير بالعدول السياقى.

وفى الحقيقة أن النظرة إلى العدول على أنه عدول عن المستوى النمطى إلى المستوى الفنى نظرة لا تكاد تفرق

بينه وبين الاختيار أما العدول الجدير بإفراده بمصطلح خاص يميزه عن الاختيار وإن كان يشترك معه في كونه انتقاء للفظ وإيثاراً له على غيره هذا العدول هو ما كان يمثل فى رأيي نوعا من العدول عن النظام أو الأصل اللغوى أو نوعا من العدول عن سياق النص وهو ما عرف فى التراث اللغوى والبلاغى بالمجاز[٢٣] والنقل، والانتقال، والتحريف، والانحراف، والرجوع، والالتفات، والعدول، والصرف، والانصراف، والتلون، ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة العربية، والحمل على المعنى، والترك، ونقض العادة، وغير ذلك[٢٤].

هذا العدول قد عبر عنه فى الدراسات الحديثة بمصطلحات عديدة كذلك، منها : الانحراف، والانزياح، والاختلال، والانتهاك، والتجاوز، والمخالفة، واللحن، وخرق السنن والشناعة، والإطاحة، والتحريف .. الخ[٢٥] فإذا كان النظر إلى الأسلوب من زاوية المنشىء قد أثمر مقولة الاختيار، فإن النظر إليه من زاوية النص أو الرسالة قد أثمر مقولة العدول أو ما أسموه بمصطلحات عديدة لعل أبرزها، مصطلح الانحراف[٢٦] DEVIATION

وذهب ريفاتير إلى اعتبار القاعدة في العدول هي السياق نفسه.

والسياق الأسلوبى عند ريفاتير ليس هو التداعى وليس هو التوالى اللغوى الذى يحصر تعدد المعنى أو يضيف إيحاءات خاصة للكلمات بل هو (نموذج لغوى ينكسر بعنصر غير متوقع) والتضاد الناجم عن هذا الاختلاف هو المثير الأسلوبى. وقيمة التضاد الأسلوبية تكمن فى نظام العلاقات الذى يقيمه بين العنصرين المتقابلين فلن يكون له أى تأثير ما لم يتداع فى توال لغوى. وبعبارة أخرى فإن عمليات التضاد الأسلوبية تخلق بنية مثلها فى ذلك مثل بقية التقابلات المثمرة فى اللغة[٢٧].

إن نظرية العدول السياقى عند ريفاتير هى أقرب شىء إلى ظاهرة الالتفات فى البلاغة العربية ولذا تعد من نقاط الالتقاء بين الأسلوبية الحديثة وبين البلاغة العربية فى تناولها لظاهرة العدول وخاصة فى مبحث الالتفات[٢٨].

وقد ينظر إلى الأسلوب باعتبار ما يغلب عليه من الظواهر الأسلوبية المختلفة ومدى تكرر تلك الظواهر بحيث يمكن أن تمثل سمات أسلوبية معينة لعمل بعينه أو لمبدع بعينه

، وهنا نجد الاهتمام بدراسة ظواهر التكرار الأسلوبي في نص بعينه .

وقد سبق أن تعرضنا لبحث ظاهرة التكرار من خلال دراسة ظاهرة التكرار الصوتي دراسة أسلوبية [٢٩]

ونستطيع أن نضرب مثالا للتحليل الأسلوبي الذي تتداخل فيه الدلالة اللغوية في جميع مستوياتها اللغوية لتشارك في خلق دلالة فنية خاصة لكلمة في سياق بعينه .

ولننظر على سبيل المثال هنا إلى الدلالة الفنية لكلمة (توسوس) فى قوله تعالى: { **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ** }[٣٠] ، تلك الدلالة التى تتآزر فى تشكيلها الدوال الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية .

حيث يقوم البحث الأسلوبي باستثمار تلك الدلالات التى تعطيها تلك الدوال المتعددة لتشكيل الدلالة الفنية لتلك الكلمة .

وينظر الأسلوبي إلى السياق والمقام الذى سيقت ضمنه تلك الكلمة :

أولاً ، ثم ينظر فى مختلف دلالاتها السابقة ليرى مدى مناسبتها ومطابقتها لمقتضى الحال أو المقام الذى سيقت لأجله .

لقد سيقت تلك الكلمة فى مقام الحديث عن قدرة الله الشاملة على خلق الإنسان وإحاطة علمه به ، واطلاعه سبحانه على خفايا نفسه ، وهواجس ضميره ، وقربه منه سبحانه قربا لا تخفى معه خافية من أحواله على من يعلم السر وأخفى .

ومن هنا تأتى هذه الكلمة القرآنية متآزرة مع ذلك السياق ومناسبته أتم المناسبة لذلك المقام بما لها من دلالات مختلفة صوتية ومعجمية وصرفية ونحوية .

وهنا تستثمر الدراسة الأسلوبية الدراسات اللغوية المتعددة لتخرج بدلالة الكلمة فى مختلف دلالاتها اللغوية السابقة ، ليقف الباحث على دلالتها الفنية التى هى محصلة تلك الدلالات جميعها .

فمن الناحية المعجمية يقارن البحث الأسلوبي بين الخيارات المتبادلة مع تلك الكلمة (توسوس) مثل (تتكلم ــ تتحدث ــ تسِر ــ تخفى) لينتهى من خلال النظر فى

معاني كل كلمة من تلك الكلمة إلى تفوق تلك الكلمات بما لها من مناسبة تامة لسياقها ومقامها لا تقوم به أي كلمة أخرى من البدائل الأخرى ؛ فالوسوسة هى الصوت الخفي غير المميز كصوت الريح أو الحَلْي مثلا ، ومن هذا القبيل وسوسة الشيطان فهى خفية وغير واضحة ولا مميزة ، بل تتسلل إلى النفس تسللا خفيّا لا يكاد يشعر بها المرء ، بحيث لا يفرق بينها وبين نفسه .

ومن هنا تأتى مناسبة كلمة الوسوسة لسياقها لما تدل عليه من الخفاء وعدم التميز والوضوح، ومع دقتها وخفائها وعدم تميزها ووضوحها تظهر قدرة الله تعالى وسعة علمه فى إحاطته بها ووقوفه عليها ، مما يلقى الرهبة ويعظم الخوف فى قلوب العباد من تلك القدرة النافذة، إلى شغاف القلوب حتى تطلع على خطراتها ووساوسها الخفية التى قد يخفى على الإنسان نفسه معالمها ويصعب عليه تمييزها مع كونها بداخله .

وبطبيعة الحال فإن أي كلمة أخرى لا تسد مسدّ هذه الكلمة فى دلالتها على ذلك المعنى .

ثم ينتقل البحث بعد ذلك إلى استثمار الدرس الصوتي لتلك الكلمة ليستخرج الدلالة الصوتية الفنية لتلك الكلمة .

فينظر إلى مجيئها مركبة من هذين الحرفين الرقيقين (الواو والسين) فينظر إلى ما فى الواو من خفاء ورقة ولين مع قرب مخرجه لكونه شفويا ، فينظر إلى مناسبة لينه ورقته وخفائه لمعنى الوسوسة ، وما فيها من خفاء ولين ورقة ، كما تأتي دلالة قرب المخرج للدلالة على علم الله تعالى بأدق الأصوات وأخفضها صوتا وهو ما يخرج من بين الشفاه فما بالك بما فتح صاحبه فيه فمه وما كان من أقصى الحلق ونحو ذلك مما يرفع فيه الصوت؟! فمن ثم كانت مناسبة الواو للدلالة على تلك المعاني ، ثم لك أن تتأمل دلالة السين ، وما فيها من همس ورخاوة وصفير مع قرب المخرج كذلك فهى تلي الواو مخرجا لكونها مما بين الثنايا وطرف اللسان ، والهمس هو جري النفس فى الحرف بلا انحباس فيخرج الحرف سهلاً لا جهر فيه يناسب الوسوسة الخفية ؛ كما ناسبها كذلك لكونه رخوا ليس بالشديد ؛ كما ناسب صوت الوسوسة الذى يشبه صفير الريح ، ووسوسة الحلْي بما فيه من صفير يصاحبه فى النطق .

فإذا ضممنا إلى ذلك أيضا قرب مخرجه وماله من مناسبة سبق بيانها فى حرف الواو ، تبين لنا مدى مناسبة هذين الصوتين للدلالة على المعنى المراد وهو علم الله تعالى بالدقائق من الوساوس والخطرات الخفية التى لا يعلمها إلا هو .

ثم نأتى بعد ذلك إلى ما هو أوضح دلالة وهى الدلالة الصرفية والدلالة النحوية.

فأما الدلالة الصرفية فنجد أن اختيار الفعل مضاعف الرباعى جاء مناسبا أتم المناسبة لمعناه، ومن ثم لسياقه ومقامه .

وذلك أن الفعل (وسوس) هو تضعيف (وس) وهذا التضعيف نشأ عن تكرار هذا المقطع (وس) فإذا التفت إلى ذلك لمحت المناسبة بينه وبين عملية الوسوسة وطبيعتها القائمة على التكرير والإلحاح ، فوسوسة النفس وكذلك وسوسة الشيطان ما هى إلا إغراء النفس بفعل المنهي عنه ، ووسيلة هذا الإغراء لا تكون إلا بالتكرار والإلحاح الدائم على النفس حتى تضعف وتقع فريسة للنوازع والرغبات الدنيئة .

وننتقل إلى الدلالة النحوية لنقف أمام دلالة المضارع حيث اختيرت صيغة المضارعة للتعبير عن حدوث الفعل وتجدده وتكرره ليعبر عن عملية الإلحاح التى تمثل عنصرًا أساسيًا فى عملية الوسوسة ، وليدل على سعة علم الله تعالى بهذه الوسوسة مهما كثرت وتجددت وتكررت، ولهذا اختير المصدر المؤول من (ما والفعل المضارع) على المصدر الصريح وسوسة لدلالة الفعل على التجدد دون المصدر الصريح (وسوسة) .

ومن ثم نتبين مدى مناسبة تلك الكلمة لسياقها ومقامها بما لها من دلالة فنية كانت محصلة تلك الدلالات الصوتية والصرفية والمعجمية والنحوية لتلك الكلمة القرآنية .

وعلى هذا النحو يمضى البحث الأسلوبي فينظر فى مناسبة الأصوات للمعانى من جهة ما تشتمل عليه من تفخيم أو ترقيق أو همس أو جهر أو انطباق وانفتاح ، أو مدٍّ أو لين أو تفشٍّ واستطالة أو إظهار أو إدغام أو تنوين أو إخفاء .. إلخ .

وينظر فى مناسبة صيغة الكلمة من حيث كونها اسما أو فعلا أو مشتقا من المشتقات ، فينظر إن كانت اسما

فى مناسبة الوزن الذى جاءت عليه ، وإن كانت فعلا إلى دلالة كونه ماضيا أو مضارعا أو أمرًا ، وإن كانت مشتقًا إلى كونها اسم فاعل أو اسم مفعول أو صيغة مبالغة أو اسم مرّة أو هيئة أو غير ذلك .

ومع النظر إلى مناسبة ذلك كله للسياق والمقام .

كما ينظر فى التراكيب من حيث ما هى عليه من تقديم وتأخير ، وحذف أو ذكر ، وفصل أو وصل ، وإيجاز أو إطناب ، وخبر أو إنشاء ... إلخ ما ذكروه من مباحث علم المعاني ثم ينظر إلى ما تشتمل عليه تلك التراكيب من صور وأخيلة من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز بأنواعها المفصلة فى مباحث علم البيان .

وما تشتمل عليه من وسائل تحسين وتزيين من سجع وجناس ومطابقة والتفات واحتراس وتكميل وتتميم .... إلخ ما ذكره البلاغيون من فنون البديع .

يبحث البلاغى والأسلوبي فى الدلالات الفنية لتلك الفنون والصور والأساليب السابق ذكرها ، ويطابق بينها وبين مقتضى الحال وهو المقام الذى سيقت لأجله ليقرر مطابقة تلك الدوال التعبيرية المتعددة أو عدم مطابقتها

للغرض الذى سيقت لأجله مع عدم الادّعاء بانفراد إحدى هذه الدوال بتلك الدلالة.

ومن ثم قام منهج الدراسة الأسلوبية لهذا البحث على الأسس التالية:

١- تحديد الغرض العام للنص أو فكرته الأساسية.

٢- تقسيم النص إلى وحدات أو فقر تشتمل كل فقرة على فكرة أساسية، وتتلاحم هذه الأفكار فيما بينها لتشكل من خلال وحدتها الموضوعية موضوع النص وغرضه العام.

٣- تحليل الوسائل التعبيرية الموظفة في النص للتعبير عن أفكاره وذلك على مستوى المفردات والتراكيب لبيان مدى اتفاقها ومناسبتها للفكرة المعبرة عنها.

٤- تغطية كافة المستويات اللغوية الدلالية بالوقوف على أبرز مظاهر التطابق بين الفكرة والوسائل التعبيرية على كل من:

أ-المستوى المعجمي : وينظر فيه إلى الدلالة المعجمية للكلمة ومدى مناسبتها للسياق والمقام الذي وردت فيه ، ويدخل في ذلك النظر إلى دلالة هذه الكلمة

من حيث الحقيقة والمجاز لتشمل مباحث علم البيان المعروفة من حيث التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز ، كما يدخل في ذلك كثير من مباحث علم البديع التي تتأسس أو تتفرع على الدلالة المعجمية كالطباق والمقابلة والتورية والأسلوب الحكيم والمذهب الكلامي ونحو ذلك.

ب–المستوى الصوتي : وينظر فيه إلى التركيب الصوتي للكلمة وسماتها الصوتية من حيث ما تتسم به حروفها من الترقيق أو التفخيم أو الهمس أو الجهر أو الانفتاح أو الإطباق أ و الصفير أو التكرارية أو القلقلة أو الاستعلاء أو تجانس الحروف وتناغمها ، أو تراكبها وتعاظلها ونحو ذلك ،ومدى مناسبة ذلك للسياق والمقام الذي وردت فيه ، ويدخل في ذلك الإفادة من بعض ما ذكره البلاغيون في مبحث الفصاحة من خلال نظرة أسلوبية وبلاغية معاصرة ، كما يدخل في ذلك بعض مباحث علم البديع التي تتأسس أو تتفرع على التشكيل الصوتي للكلمة كالجناس أو السجع بأنواعهما .

ج–المستوى الصرفي : ينظر فيه إلى الصياغة الصرفية للكلمة من حيث كونها اسما أو فعلا أو حرفا ،

ومن حيث أقسام الاسم إلى اسم فاعل أو مفعول أو صيغة مبالغة أو مشتق من المشتقات أو اسم مرة أ و هيئة أو مصدرا من المصادر أو غير ذلك ، ومن حيث أقسام الفعل إلى ماض و مضارع وأمر وأفعال مطاوعة وصيغ المجرد والمزيد بأوزانها المختلفة وغير ذلك ، ويستفاد في بعض ذلك مما ذكره البلاغيون والمفسرون من مباحث الإسناد من التفريق بين دلالتي كل من الاسم والفعل ونحو ذلك.

د–المستوى النحوي : وينظر فيه إلى الإسناد والتراكيب والأساليب من حيث مباحث علم المعاني المختلفة وتنوع الأساليب من حيث الخبرية والإنشائية ، والإيجاز والإطناب ، والفصل والوصل ، ونحو ذلك وما يعرض للتركيب الإسنادي من حيث التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والتعريف والتنكير ، ونحو ذلك .

٥–يتم التحليل على أساس النظر في الإجراءات الأسلوبية من جهة:

أ–اختيار وسائل تعبيرية معينة.

ب–العدول عن وسيلة تعبيرية إلى وسيلة أخرى.

ج–التكرار الأسلوبي لوسيلة تعبيرية على مدار النص.

وقد تم النظر من جهة البحث في مدى تطابق ذلك الاختيار أو العدول أو التكرار ومناسبته لأغراض النص وأفكاره.

هذا ؛ ومن خلال ما سبق إيراده في حقيقة الإعجاز وبيان حدّه نستطيع أن نقرر أن تلك الدراسة الأسلوبية بهذا التصور الحديث لا تخرج عن حقيقة الإعجاز اللغوي والبياني الذي اتفق على اعتباره في عدِّ وجوه الإعجاز وبيانها ؛ إذ إنه لا يتنافى مع ما قرره السابقون من وجوه الإعجاز ولا نكاد نعدم إشارات تدلُّ لبعض مستوياته في كلام السلف هنا وهناك.

الحوار:

الحوار في اللغة : مصدر حار،والحَوْرُ: الرُّجُوْعُ إلى الشَّيْءِ وعنه... وكُلُّ شَيْءٍ يَتَغَيَّر من حالٍ إلى حالٍ: فقد حارَ. وفي الحديث: " الحَوْر بَعْدَ الكَوْرِ " أي الزِّيادَة بعد النُّقْصانِ.

والمُحاوَرَةُ: مُرَاجَعَةُ الكَلامِ. حاوَرْتُ فلاناً، وأحَرْتُ إليه جَوَاباً.

والمَحُوْرُ: مَرْجُوْعُ الجَوابِ. وما أحَارَ بكلمة. **والحَوِيْرُ:** المُحَاوَرَةُ، وكذلك الحِوَارُ والحِوَرُ والمَحُوْرَةُ أيضاً. وكلَّمته فما رَجَعَ إِلَيَّ حَوَاراً وحِواراً ومُحاوَرَةً وحَوِيراً ومَحُورَة بضم الحاء بوزن مَشُورَة أَي جواباً وأَحارَ عليه جوابه ردَّه وأَحَرْتُ له جواباً وما أَحارَ بكلمة والاسم من المُحاوَرَةِ الحَوِيرُ تقول سمعت حَوِيرَهما وحِوَارَهما ...**والمَحُورَةُ من المُحاوَرةِ** : مصدر كالمَشُورَةِ من المُشاوَرَة كالمَحْوَرَةِ.

والمُحاوَرَة : المجاوبة **والتَّحاوُرُ** التجاوب ، وفي حديث سَطِيحٍ فلم يُحِرْ جواباً أي لم يرجع ولم يَرُدَّ وهم

يَتحاوَرُون أَي يتراجعون الكلام ،**والمُحاوَرَةُ** : مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة وقد حاوره ، وإنه لضعيف الحِوارِ أي المحاوَرة...

فأما قوله:

قالت له العينان سمعاً وطاعةً

فإنه وإن لم يكن منهما صوت، فإن الحال آذنت بأن لو كان لهما جارحة نطق لقالتا: سمعا وطاعة.

قال ابن جني: وقد حرر هذا الموضع وأوضحه عنترة بقوله:

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ... ولكان لو علم الكلام مكلمي [٣١]

وكلمة الحوار في اللغة مشتقة من " تحاوروا وتحاورا " أي تراجعوا الكلام فيما بينهم.[٣٢]

وعرفه الأصفهاني: بأنه المرادَّة في الكلام ومنها التحاور.[٣٣]

الحوار في الاصطلاح :لا يكاد يخرج المعنى الاصطلاحي للحوار عن معناه اللغوي نفسه من مراجعة

وتبادل الآراء والأفكار بين طرفين بهدف الوصول إلى الحقيقة، وقد وردت تعريفات مختلفة للحوار، منها: "مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين والأخذ والردّ فيه ".[٣٤]

وقد ورد لفظ الحوار في القران الكريم في موضعين هما قولـــه تعالى ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾ [٣٥]

وقولـــه تعالى ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾. [٣٦]

كما ورد لفظ التحاور في قوله تعالى " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" [٣٧]

ففي هذه الآيات السابقة لا يكاد يخرج معنى الحوار عن معناه اللغوي وهو مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة .

ونحن نميل في تعريف الحوار إلى المطابقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي فيقتصر على تعريفه اللغوي ، وهذا

يجعلنا ترجيح القول بأنه : "مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين والأخذ والردّ فيه ".[٣٨]

آيات الحوار في سورة نوح :

قال تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ

الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلا فِجَاجًا (٢٠)"

تبدأ الآيات بعرض نوح عليه السلام دعوته على قومه ببيان واضح قوامه الترغيب والتبشير بمغفرة الله ورحمته ، وإن كانت لا تخلو في الوقت نفسه من نبرة الترهيب والتلويح بعذاب الله تعالى وشدَّة أخذه وعقابه "قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) "

ومع أن الحوار هو - كما وقفنا على تعريفه - عبارة عن مراجعة الكلام بين طرفين ؛ فإننا نلاحظ أن الحوار هنا بين نوح وقومه يكاد يكون من طرف واحد — هو نوح عليه السلام — والحوار من الطرف الآخر يكاد يكون سلبيا ،أو بأساليب إشارية غير كلامية تدل على النفور والإعراض والصدِّ بصور شتَّى (فِرَارًا - جَعَلُوا

أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ - اسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ - أَصَرُّوا - اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا).

كما نلاحظ في هذه السورة الكريمة تنوع أساليب الدعوة بين الخطاب الوجداني المتنوع بين الترغيب والترهيب ، والخطاب البرهاني العقلي التأملي الاستدلالي.

فالخطاب الوجداني يخاطب فيه نوح عليه السلام قلوب قومه ، ويبعث فيهم الرغبة والرهبة ، فيرغبهم في مغفرة الله ورحمته ، ويذكرهم بآلائه ونعمته .

والخطاب العقلي التأملي يعرض لهم فيه أدلة ربوبيته ووحدانيته سبحانه في دعوة للتأمل والنظر في آلاء الله تعالى في الكون ومظاهر قدرته فيه .

فاجتمعت في هذه الآيات طريقتا الخطاب القلبية الوجدانية بنوعيها من حيث الترغيب والترهيب، والعقلية التأملية بأنواعها من حيث التأمل والبديهة ، وذلك في قوله عليه السلام:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا

لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلا فِجَاجًا﴾.

فنجد أسلوب الترغيب واضحًا فيما وعدهم به إن استغفروا الله تعالى وتابوا إليه من إرسال السماء بالخير العميم مع كثرة أموالهم وأولادهم وتفجير الأنهار والجنات من تحتهم .. إلخ.

ثم لما لم ينجح ذلك الأسلوب معهم لقسوة قلوبهم وإعراضهم نحا نحو زجرهم وتأنيبهم وتقريعهم فسلك مسلكًا حسنًا من مسالك الترهيب حيث قال: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ثم عمد إلى طريقة الخطاب العقلي بدعوتهم إلى النظر والتأمل في مخلوقات الله تعالى للاستدلال بها على قدرته ووحدانيته وسائر صفات ربوبيته وألوهيته سبحانه فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا...﴾.

وهو في ذلك يجمع بين دعوتهم إلى النظر والتأمل في صفحة الكون ، والاستدلال ببديهات العقول وأقيستها المستقيمة المتفقة مع الفطرة السليمة.

وتتضافر في هذه الآيات الوسائل التعبيرية المختلفة على جميع المستويات اللغوية لتصوير هذا الحوار الدعوي الموجه من نوح إلى قومه .

التحليل الأسلوبي للوسائل التعبيرية المعبرة عن هذا الحوار :

يظهر التوظيف الأسلوبي للغة على كافة مستوياتها لتتضافر الدلالات اللغوية المختلفة في مناسبة هذا الحوار:

١- على المستوى المعجمي:

نجد توظيف الكلمات ذات الدلالة المعجمية المتناغمة مع الحوار السابق كما في الكلمات :

(**مِدْرَارًا- يُمْدِدْكُمْ- أَمْوَالٍ – أَطْوَارًا- نُورًا- سِرَاجًا- أَنْبَتَكُمْ – نَبَاتًا- وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا- بِسَاطًا- سُبُلا – فِجَاجًا**)

(**مِدْرَارًا**) المدرار هي السماء التي تدرُّ المطر أي تصبُّه صبًّا شديدا ، يقال : "دَرَ اللَبَنُ يَدُرُّ دَرًّا، وكذلك النّاقَةُ. ودَرَّتْ عُرُوْقُها: امْتَلأتْ دَماً. ودَرَّتِ السَّمَاءُ: كَثُرَ المَطَرُ. وسَحَابَةٌ مِدْرَارٌ. وناقَةٌ دَرُوْرٌ.

ودَرَتْ حَلُوْبَةُ المُسْلِمِيْنَ: أي فَيْئُهم وخَرَاجُهم، والاسْمُ: الدِّرَّةُ. واسْتَدَرَتِ العَنْزُ: أرَادَتِ الفَحْلَ. والتَّدُرَّةُ: الدَّرُّ الغَزِيْرُ. وبسُوْقِنا اليَوْمَ دِرَّةٌ: أي نَفَاقٌ. وإذا شَتَمُوا قالوا: " لا دَر دَرُّه " أي لا كَثُرَ خَيْرُه. ولله دَرُّكَ: أي عَمَلُكَ."[٣٩]

ويقال "للسحاب دِرَّةٌ: أي صَبٌّ. والجمع دِرَرٌ. قال النَمْر بن تَوْلَب:

سلامُ الإله ورَيْحانُه ... .ورحمَتهُ وسَماءٌ دِرَرْ

غَمامٌ يترِّلُ رِزْقَ العِبادِ ... فَأَحْيا البلادَ وطابَ الشَجَر

أي ذات دِرَرٍ. وسَماءٌ مِدْرارٌ، أي تَدُرُّ بالمطر."[٤٠]

وهذا يدلُّ على مدى مناسبة الكلمة لمعاني : درِّ المطر ، ونزول الخير والبركة من السماء ؛ فهذا من معاني الدر ؛ ولذا قالوا في الدعاء على الشخص : (لا درَّ درُّهُ) .

وهذا كما قال تعالى :" **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)**"[٤١]

(**يُمْدِدْكُمْ**):آثر التعبير بـــ(**يُمْدِدْكُمْ**) على غيرها مثل (**يعطيكم**) لما فيها من معاني المدد وهو العطاء المشتمل على الزيادة الممتدة بالعون والرِّفد والنصرة .

وذلك كما في قوله تعالى : "**إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ**

فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦)"[٤٢]

(أَمْوَالٍ) : تطلق الأموال على كلِّ ما يتمول أي يمتلكه المرء من النقد والعرض والماشية والعقار والثياب وبالجملة تطلق على كلِّ ما له قيمة ؛ ففي هذه الكلمة إذا من عموم إيصال الخير والنفع ما ليس في غيرها .

وفي لسان العرب : "(مول) المالُ معروف ما مَلَكْتَه من جميع .. والجمع أَمْوال وفي الحديث :"نهى عن إِضاعة المال" قيل أَراد به الحيوان أَي يُحْسَن إِليه ولا يهمَل وقيل إِضاعته إِنفاقه في الحرام والمعاصي وما لا يحبه الله وقيل أَراد به التبذير والإِسْراف وإِن كان في حَلال مُباح .**قال ابن الأَثير المال في الأَصل ما يُملك من الذهب والفضة ثم أُطلِق على كل ما يُقْتَنى ويملَك من الأَعيان** "[٤٣]

(أَطْوَارًا) :"الطَّوْر: الحدّ بين الشيئين، والجمع أطوار،...والطَّوْر أيضاً: فعلك الشيءَ بعد الشيء. فعلتُ الشيءَ طوراً بعد طَوْر، أي مرة بعد مرّة، وفي التنزيل: "

خلقكم أطواراً " ، فُسِّر نُطفةً ثم عَلَقَةً ثم مضغةً، فهذا طَور بعد طَور، والله أعلم بكتابه."[٤٤]

فدلت هذه الكلمة بما لها من دلالة معجمية على قدرة الله وإعجازه في خلق الإنسان ، ولا نكاد نجد كلمة تسدّ مسدها في الدلالة على أطوار الخلق ومراحله المختلفة التي تختلف فيه كلّ مرحلة عن التي تليها والتي بعدها ؛ كأن ثمة حدًّا فاصلا بينهما ، وما هي إلا القدرة الإلهية .

كما نلاحظ وجه الإعجاز كذلك في التفرقة بين (**نُورًا– سِرَاجًا**) هي وصف القمر بالنور ، والشمس بالسراج ليدل على هذه الحقيقة العلمية الدالة على أن القمر إنما يستمد نوره من الشمس التي هي بمثابة السراج المنير ؛ أما القمر فنوره مستمد من هذا السراج.

كما نلمح المناسبة التامة في وصف الخلق بالإنبات (**أَنْبَتَكُمْ – نَبَاتًا–**) ؛ حيث وصف خلق الإنسان بالإنبات "بناء على أن خلقه من الأرض إنبات له كما يشير إليه قوله تعالى : { والله أَنبَتَكُمْ مِّنَ الارض نَبَاتاً }[٤٥]"

وكذلك قوله تعالى :(**وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا**) ناسب التعبير عن البعث وإعادة الخلق ؛ لأن حقيقته إخراج من

الأرض كإخراج النبات كما دلّت عليه النصوص فعبر بالإخراج دون البعث والإحياء للدلالة على المشابهة والمساواة بين الحالين، فكما لا يستغرب إخراج النبات من الأرض ينبغي ألا يستغرب البعث لأنه إخراج الأجساد من الأرض، وإنبات أصلها المتبقي وإخراجه بالماء من الأرض كإنبات البقل سواء بسواء.

قال البخاري: { يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا } بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بين النفختين أربعون". قالوا: أربعون يومًا؟ قال: "أبيتُ". قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: "أبيت". قالوا: أربعون سنة؟ قال: "أبيت". قال: "ثم يُنزلُ الله من السماء ماء فينبتُونَ كما ينبتُ البقلُ ، ليس من الإنسان شيءٌ إلا يَبلَى، إلا عظمًا واحدا، وهو عَجْبُ الذنَب، ومنه يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ القيامة" [٤٦]

"فهي عملية دائمة التكرار فيما حولهم، مألوفة لهم، ولكنهم لا ينتبهون إليها ولا يلحظونها قبل الاعتراض والتعجيب، كذلك الخروج على هذه الوتيرة وبهذه السهولة، الآن يقولها وقد حشد لها من الإيقاعات الكونية على القلب البشري، ذلك الحشد الطويل الجميل المؤثر

الموحي لكل قلب منيب. وكذلك يعالج القلوب خالقُ القلوب"[٤٧].

وفي كلمة (**بِسَاطًا**) تشبيه يبين كيف أنه "جعل الأرض ممهودة مسهلة للسّير والجلوس والاضطجاع بحيث لا تُنتوء فيها إلاّ نادراً يمكن تجنبه"[٤٨]

أما قوله : **سُبُلاً** فتدل على كل سبيل متخلل في الأرض كما في قوله تعالى: "وسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً " ، أي أسلك فيها سبلاً ، أي جعل سبلاً سالكة في الأرض ، أي داخلة فيها ، أي متخللة . وذلك كناية عن كثرتها في جهات الأرض .

والمراد بالسبل : كلّ سبيل يمكن السير فيه سواء كان من أصل خلقة الأرض كالسهول والرمال ، أو كان من أثر فعل النّاس مثل الثنايا التي تكرر السير فيها فتعبدت وصارت طرقاً يتابعُ الناس السير فيها ".[٤٩]

قال القرطبي :"السبل: الطرق. والفجاج جمع فج، وهو الطريق الواسعة؛ قاله الفراء. وقيل: الفج المسلك بين الجبلين."[٥٠]

قال الزمخشري في سورة الأنبياء في قوله تعالى:" وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) [فجاجاً] الفج : الطريق الواسع . فإن قلت : في الفجاج معنى الوصف ، فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى : { لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً } [نوح : ٢٠] قلت : لم تقدّم وهي صفة ، ولكن جعلت حالاً كقوله :

لِعَزَّةَ مُوحِشاً طَلَلٌ قَدِيم ... فإن قلت : ما الفرق بينهما من جهة المعنى؟ قلت : أحدهما الإعلام بأنه جعل فيها طرقاً واسعة . والثاني : بأنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة ، فهو بيان لما أبهم ثمة ".[٥١]

جعلوا أصابعهم : المراد أناملهم ؛ ومن ثم فهو مجاز مرسل علاقته الكلية ، وإنما عبر بالأصابع على سبيل المبالغة في بيان مدى ما هم عليه من الإعراض والصدِّ.

٢-على المستوى الصوتي:

نلاحظ تناغم الحروف والحركات والكلمات وتلاؤمها وتناسبها فيما بينها دون تنافر أو ثقل في النطق ،كما نلاحظ كذلك تنوعا في فواصل السورة حيث تبدأ السورة بفاصلة ميمية لآية واحدة تمثل تقدمة لهذة القصة ، ثم يليها مقدمة نونية هادئة تمثل بدء دعوة نوح عليه السلام مع قومه ، وبداية حديثه معهم وهو حديث يسوده العرض الهادئ والبيان الحكيم .

قال تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤)

وكما لاحظنا تميز كلٌ واحد من الغرضين السابقين بفاصلة تخصُّه ، نلاحظ كذلك اختلاف الفاصلة في الآيات التالية عن سابقتها ، وحينما ننعم النظر نلاحظ أن هذه الآيات التالية إنما تمثل مرحلة جديدة من مراحل الدعوة تطورت فيها الدعوة من مرحلة البيان الهادئ إلى مرحلة

جديدة من البيان الوجداني الذي تزداد فيه حدّة الانفعال العاطفي ترغيبا أو ترهيبا ، إزاء هذا الصدّ والإعراض من قومه ؛ فلذلك تميز هذا المقطع بفاصلة الراء الممدودة بألف المد التي تنتهي بها آيات هذا المقطع .

أما على مستوى اللفظة المفردة فنجد إيماءات صوتية ، وإيحاءات فنية تتناغم مع الدلالات المعجمية للكلمات كما في:

(**جِهارا – مِدْرَارًا- يُمْدِدْكُمْ- وَقَارًا- – بِسَاطًا- سُبُلا – فِجَاجًا**)

حيث نلمح الشدَّة والجهرية في الجيم المجهورة في **جهارا** المتبوعة بمدين متتالين بعد حرف الهاء الآتي من الحنجرة مما يحكي عملية الجهر ويناسبها تمام المناسبة .

أما كلمة **مدرارا** فنحسُّ أنها تحكي تتابع الماء وهطوله، وتكرر نزوله بتشكيلها الصوتي العجيب الذي تتكرر فيه الراء وهي حرف تكراري يظهر تكراره في النطق مما يدل على دقة اختيار هذه الكلمة التي تدل على التتابع والتكرار .

كذلك فإن تكرر الدال في **يُمْدِدْكُمْ** يحكي كذلك عملية الإمداد وما فيها من اتصال ونكاد نستشعر ذلك الاتصال من اتصال الدالين وتلاحمهما في مقدمة الأسنان .

كما نلاحظ كذلك مناسبة الوقار بما تشتمل عليه هذه الكلمة **وَقَارًا** من القاف المفتوحة المفخمة التي ينفتح فيها الفم بشيء من الاستعلاء مع المد بعدها معبرا عن هذا الوقار .

وفي كلمة **بِسَاطًا** نلمح البسط والمد والسهولة في مدِّ السين المهموسة ، وما يتبع ذلك من الطاء الممدودة التي تكاد تحكي الطمأنينة والاستقرار .

وأما في (**سُبُلا – فِجَاجًا**) فيساعد التشكيل الصوتي للكلمتين على التفريق بين دلالتيهما والإيحاء بمعنييهما ؛ حيث نلاحظ قلة حروف الكلمة **سُبُلا** وتتابع الضم فيها وتقارب مخارج حروفها مما يدل على الضيق نسبيا في مقابل الانفساح والسعة الملحوظة في **فِجَاجًا** التي يدل تتابع المدّ فيها على ذلك الانفساح .

٣- المستوى الصرفي :

نجد جمال التوظيف الفني للصيغ الصرفية المختلفة لتحقيق التناسب التام بين هذه الصيغ والمعاني التي تعبر الآيات عنها .

نجد ذلك على سبيل المثال في صيغ الكلمات التالية : (أَصَابِعَهُمْ- آذَانِهِمْ- وَاسْتَغْشَوْا- اسْتَكْبَرُوا- اسْتِكْبَارًا- مِدْرَارًا- يُمْدِدْكُمْ- أَمْوَالٍ - أَطْوَارًا - أَنْبَتَكُمْ - نَبَاتًا- وَيُخْرِجُكُمْ - إِخْرَاجًا- بِسَاطًا- سُبُلا - فِجَاجًا)

يُمْدِدْكُمْ :"حكى جماعة من أهل اللغة منهم أبو عبيد أنه يقال إذا كثر شئ شيئا بنفسه مده، وإذا كثره بغيره قيل أمده، نحو " يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة (٢) مسومين ".ويدل ذلك على أن هذا الإمداد بالخير لا يكون إلا من ربِّ البرية المتكفل بأرزاق العباد .[٥٢]

نلاحظ توظيف الآيات لصيغ الجمع نحو : (أَصَابِعَهُمْ- آذَانِهِمْ- أَمْوَالٍ - أَطْوَارًا - سُبُلا - فِجَاجًا)

فاختار الجمع **أَصَابِعَهُمْ** وهم لا يضعون إلا إصبعا واحدة للمبالغة والتهويل في عرض السورة ولبيان مدى ما هم عليه من المبالغة في الإعراض والصدِّ حتى أنهم لو استطاعوا وضع جميع أصابعهم لفعلوا .

وكذلك جمع **آذَانِهِمْ** رغم أنهم لا يضعون الإصبع إلى في أذن واحدة وليس لهم إلا أذنان فقط ؛ فجمع ذلك للغرض السابق نفسه .

أموال : "تطلق على كل ما يُقْتَنَى ويملَك من الأَعيان " [٥٣]

ومن ثم تشمل النقد والعرض والماشية والعقار والثياب ، وبالجملة تطلق على كلِّ ما له قيمة ؛ ففي هذه الكلمة إذا من عموم إيصال الخير والنفع ما ليس في غيرها،والنكتة في جمعها أن تشمل جميع صنوف المال وأنواعه ، وتدل على تعدد وتنوع الخير الذي يصل إليهم ــ إن أطاعوا الله تعالى ــ ؛ فلا يقتصر على تصور أصل المال فقط عند الإطلاق ، وهو الذهب والفضة **"قال ابن الأثير المال في الأَصل ما يُملك من الذهب والفضة ثم أُطلِق علىكلِّ ما يُقْتَنَى ويملَك من الأَعيان"** [٥٤]

كذلك فإن الجمع **أَطْوَارًا** جاء مناسبا لتعدد أطوار خلق الإنسان (نطفة فعلقة فمضغة فعظاما فكسى العظام لحما ، ثم يخرجه طفلا ، ثم يبلغه أشده ، ثم يصيره كهلا فشيخا)

كما جمع (**سُبُلا – فِجَاجًا**) كذلك للدلالة على الكثرة والتعدد.

وقوله تعالى :(لو كنتم تعلمون) "جمع بين صيغتي الماضي والمضارع للدلالة على استمرار النفي المفهوم من لو"[٥٥]

المستوى النحوي (التركيبي):

التراكيب النحوية هي أساس النظم وعماده ، وبدقتها وجمالها يكون التناسب والتناغم بين اللفظ والمعنى ، وبين المقام وما تقتضيه مقتضيات الأحوال من خصائص تلك التراكيب ؛ ومن ثم نلاحظ الدقة والتناسب التام بين هذه التراكيب و السياق والمقام الذي وردت فيه .

نلاحظ ذلك في التراكيب التالية :

قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) "{ قَالَ } استئناف بياني كأنه قيل فما فعل عليه الصلاة والسلام بعد هذا الإرسال فقيل قال لهم {ياقَوم إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ } منذر موضح لحقيقة الأمر واللام في لكم للتقوية أو للتعليل أي لأجل نفعكم من غير أن أسألكم أجراً ،وقوله تعالى :{ **أَنِ اعبدوا الله واتقوه وَأَطِيعُونِ** } متعلق بنذير على مصدرية أن وتفسيريتها "[٥٦]

وجملة :{ **يَغْفِرْ لَكُمْ مّن ذُنُوبِكُمْ** } **مجزوم في جواب الأمر .**[٥٧]

(لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أي : "لو كنتم تعلمون شيئاً "[٥٨] فحذف المفعول لتعميم الجهل ونفي العلم عنهم ، والمقصود شيئا من أمر الآخرة ، كما قال الله تعالى: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) (٧)[٥٩]

"وقال الحسن: معناه

لو كنتم تعلمون لعلمتم أن أجل الله إذا جاءكم لم يؤخر."[٦٠]

قال ربي إني دعوت قومي ليلا ونهارا : عطف الظرف على ما قبله أفاد التتابع ؛ فهو كناية عن الاستمرارية والتواصل .

{ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً } "مما دعوتهم إليه وإسناد الزيادة إلى الدعاء من باب الإسناد إلى السبب على حد الإسناد في سرتني رؤيتك وفراراً قيل تمييز وقيل مفعول ثان بناء على تعدي الزيادة والنقص إلى مفعولين وقد قيل أنه لم يثبت وان ذكره بعضهم وفي الآية مبالغات بليغة وكان الأصل فلم يجيبوني ونحوه فعبر عن ذلك بزيادة الفرار

المسندة للدعاء وأوقعت عليهم من الإتيان بالنفي والإثبات [٦١].

"وانتصاب { جهاراً } على المصدرية؛ لأن الدعاء يكون جهاراً ويكون غير جهار ، فالجهار نوع من الدعاء كقولهم : قعد القرفصاء ، ويجوز أن يكون نعت مصدر محذوف ، أي : دعاء جهاراً ، وأن يكون مصدراً في موضع الحال أي : مجاهراً ، ومعنى « ثم » : الدلالة على تباعد الأحوال؛ لأن الجهار أغلظ من الإسرار ، والجمع بين الأمرين أغلظ من أحدهما ."[٦٢]

{ يُرْسِلِ السماء عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً } "أي : يرسل ماء السماء عليكم ، ففيه إضمار . وقيل : المراد بالسماء المطر ، كما في قول الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا"[٦٣]

فعلى هذا يكون مجازا مرسلا علاقته المكانية .

وقوله تعالى :

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً﴾ (نوح: ١٧) عدلت الآية عن المصدر (إنباتا) إلى (نباتا)،

وقد علل أغلب المفسرين للاختيار فى (أنبتكم) أنه ضمنه معنى الإنشاء[٦٤] وكان الأولى أن يبينوا سر العدول فى اسم المصدر (نباتا) إلا أنهم اكتفوا بتوجيهه بقولهم (والمعنى: أنبتكم فنبتم نباتا)[٦٥].

أما الرازى فقد كان أطول عنقا فى رمق سر هذا العدول حيث قال: كان ينبغى أن يقال أنبتكم إنباتا إلا أنه لم يقل ذلك بل قال أنبتكم نباتا، والتقدير أنبتكم فنبتم نباتا. وفيه دقيقة لطيفة وهى أنه لو قال أنبتكم إنباتا كان المعنى أنبتكم إنباتاً غريبا، ولما قال أنبتكم نباتا كان المعنى أنبتكم فنبتم نباتا عجيبا. وهذا الثانى أولى لأن الإنبات صفة لله تعالى،{ وصفة الله تعالى غير محسوسة لنا } وصفة غير الله محسوسة لنا، فلا نعرف أن ذلك الإنبات إنبات عجيب كامل إلا بواسطة إخبار الله تعالى.. وأما لما قال "أنبتكم من الأرض نباتا" على معنى أنبتكم فنبتم نباتا عجيباً كاملا كان ذلك وصفا للنبات بكونه عجيبا كاملا، وكون النبات كذلك أمر مشاهد محسوس فيمكن الاستدلال به على كمال قدرة الله تعالى، فكان هذا موافقا لهذا المقام. فظهر أن العدول من تلك الحقيقة إلى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف[٦٦] فالإنبات إنما ينظر فيه إلى صنع

الله عز وجل وهو خفى، فعدلت الآية عنه إلى ما هو ظاهر وهو النبات حيث تتجلى فيه مظاهر الإبداع والقدرة، فكان ذلك أقوى مناسبة لمقام بيان قدرة الله تعالى ولطف صنعه، والامتنان على عباده بنعمه، وسياق الآيات يساعد ذلك المعنى أتم المساعدة.

فهذا المعنى البديع الذي تحصَّل بطريق التضمين اجتمع فيه معنى المصدرين :(الإنبات) الذي هو صنع الله تعالى وصفته الخفية و (النبات) الذي هو أثر صفته سبحانه ، ومظهر قدرته .

وقوله : { وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً } جاء على الأصل دون عدول في المصدر كقوله : "أنبتكم من الأرض نباتا" ولنا أن نتساءل عن السبب في ترك العدول في هذه الجملة مقارنة بنظيرتها السابقة ؛ ورغم أن الرازي قد أجاب عن العدول في الموضع الأول فإنه أهمل التعليل للعدول في هذا الموضع كأنه رأى أنه جاء على الجادة فلا يحتاج إلى تعليل ؛ فقال:"وقوله : { وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً }أكده بالمصدر كأنه قال : يخرجكم حقًّا لا محالة ."[٦٧]

وكذلك فعل البيضاوي فقال:{ وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً } "بالحشر ، وأكده بالمصدر كما أكد به الأول

دلالة على أن الإعادة محققة كالإبداء ، وأنها تكون لا محالة "[٦٨].

وأرى أن التعليل بمجيء الكلام على الجادة لا يكفي ؛ لأن تتابع هاتين الجملتين يمثلان معا نوعا من السياق الداخلي ، والخروج عن هذا السياق الداخلي يمثل عدولا داخليا وهو ما يسميه ريفاتير بالعدول السياقي[٦٩]،و هذا النوع من العدول يحتاج إلى تعليل كذلك بلا شك.

وقد اجتهدت في التعليل لهذا العدول عن السياق الداخلي فرأيت أنه لم يستمر على أسلوب العدول عن مصدر الفعل كما في (أنبتكم نباتا) فلم يقل : (أخرجكم خروجا) ؛ بل قال : (أخرجكم إخراجا) ؛ وذلك لأن (الإفعال) أي (الإخراج) إنما هو فعل الله تعالى ، وإذا كان فعل الله لا يرى في الإنبات ؛ فلذا عبَّر بالنبات وهو الفعل الظاهر ؛ فإن إخراج العباد في الآخرة وإن كان فعلا لله تعالى فإنه مرئي مشاهد من العباد ؛ ولذا عبَّر الله تعالى عن هذا اليوم بأنه يوم مشهود ، فقال تعالى : "**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣)**"[٧٠]

وقال تعالى"وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣)"[٧١]

فهذا الإخراج آية مشاهدة يشاهدها العباد يوم القيامة ، ومطلوب منهم أن يشاهدوه في الدنيا كذلك بقلوبهم وضمائرهم كما قال تعالى: " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)"

السمات الأسلوبية العامة للحوار القرآني:

من خلال ما سبق عرضه من أمثلة الإعجاز الأسلوبي في الحوار القرآني نستطيع أن نلمح بعض السمات الأسلوبية العامة للحوار القرآني ، من أهمها :

رعاية حال المخاطب :

وذلك كتوكيد الكلام للمخاطب لكونه شاكًّا أو منكرا :"قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢)"

وتليين الخطاب في بدء العرض :" أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤)"

والتدرج مع المخاطب المكذب بالترغيب قبل الترهيب :"فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)"

وإغلاظ الخطاب لمن ظهر تكذيبه وإعراضه واستهزاؤه :" مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)"

التنويع الأسلوبي للخطاب بحسب مقتضيات الأحوال :

فتارة يجنح إلى الأسلوب الوجداني : وذلك بالترغيب والترهيب على نحو ما مرّ .

وتارة يجنح إلى الأسلوب العقلي التأملي :

وذلك بإقامة الحجة عليهم :" أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦)"

أو بتذكيرهم بنعم الله تعالى وآلائه :" وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلا فِجَاجًا (٢٠)"

وهكذا يدور الحوار القرآني في هذه السورة من أولها إلى آخرها على عرض كافة الأساليب الحوارية التي يمكن الإفادة منها في محاورة المخالفين في كلّ زمان ومكان .

قائمة المصادر والمراجع

١. اتجاهات البحث الأسلوبي – د/ شفيع السيد/ مكتبة الشباب – جامعة القاهرة .

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود الحنفي / تح عبد القادر عطا / مكتبة الرياض .

٣. أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث د/ البدراوي زهران. دار المعارف

٤. أساس البلاغة للزمخشري / دار صادر–بيروت ١٣٩٩هـ.

٥. أسرار البلاغة/ عبدالقاهر الجرجاني–بتصحيح السيد رشيد رضا– ط مكتبة محمد علي صبيح.

٦. الأسلوب – أحمد الشايب – مكتبة النهضة المصرية – ٩ ش عدلى بالقاهرة ط٣.

٧. الأسلوب والأسلوبية،مقال فى فصول١/٨٤.

٨. الأسلوبية والأسلوب – د/ عبد السلام المسدى – الدار العربية للكتاب – تونس ١٩٧٧.

٩. الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، تحقيق د/عبدالحميد هنداوي مؤسسة المختار، مصر.

١٠. البحث البلاغى عند العرب ، تأصيل وتقيم د/ شفيع السيد – مكتبة الشباب .

١١. البحر المحيط، لأبي حيان، دار الفكر، بيروت.

١٢. برند شبلنر/ علم اللغة والدراسات الأدبية دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصى، ترجمه وقدم له وعلق عليه د/ محمد جاد الرب/ كلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض ط١ س١٩٨٧ نشر الدار الفنية بالقاهرة ص ٨١.

١٣. البلاغة والأسلوبية - د/ محمد عبد المطلب/ ط الهيئة ١٩٨٤ ص ١٩٨.

١٤. البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث د/ مصطفى السعدني /ط منشأة المعارف بالأسكندرية

١٥. تأويل مشكل القرآن ـــ ابن قتيبة — ط مؤسسة الرسالة .

١٦. تاج العروس للزبيدي/تح علي شيري دار الفكر بيروت١٤١٤هـ.

١٧. التحرير والتنوير لابن عاشور ـ ط الدار التونسية.

١٨. تفسير البيضاوي / ط الحلبي .

١٩. تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، مطبعة السعادة بمصر، طبعة مصورة، دار الفكر ببيروت ١٩٧٨م.

٢٠. تفسير الجلالين / ط دار الكتب العلمية / بيروت .

٢١. تفسير الرازي، طبعة بيروت.

٢٢. تفسير روح المعاني، للألوسي، دار إحياء التراث العربي.

٢٣. تفسير أبي السعود / تح عبد القادر عطا / مكتبة الرياض لا ط .

٢٤. تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٣٠، طبعة مصورة.

٢٥. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، دار الكتب المصرية

١٩٦٧م، طبعة مصورة.
٢٦. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ط المكتبة التوفيقية، مصر.
٢٧. التكرير د/ عز الدين علي السيد / ط – عالم الكتب
٢٨. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مراجعة محمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، ط١، ١٩٦٤م.
٢٩. جامع البيان للطبري / دار الفكر بيروت: ١٤٠٥هـ.
٣٠. الجامع الكبير لابن الأثير – تح د عبد الحميد هنداوي / دار الآفاق القاهرة ١٤٢٨هـ
٣١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي /دار الكتب العلمية بيروت:١٤٠٩ هـ.
٣٢. الخصائص لأبي الفتح بن جني / تح محمد على النجار / دار الكتب المصرية : ١٣٧١هـ .
٣٣. دراسات لأسلوب القرآن محمد عبد الخالق عضيمة / مطبعة السعادة :١٣٩٢هـ
٣٤. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي / تح د. أحمد الخراط / دار القلم دمشق: ١٤٠٦هـ .
٣٥. دلائل الإعجاز، للجرجاني، تحقيق العلامة الشيخ محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٤م.
٣٦. شروح التلخيص / تح د/ عبد الحميد هنداوي / المكتبة العصرية / بيروت ٢٠٠٣م .

٣٧. الصحاح للجوهري / تح أحمد عبد الغفور عطار / نسخة مصورة عن الطبعة الأولى .
٣٨. صحيح البخاري ت د. مصطفى ديب البغا / دار ابن كثير الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ .
٣٩. صحيح مسلم / فؤاد عبد الباقي / المكتبة الإسلامية استانبول .
٤٠. الطراز ليحى العلوى / تح د/ عبد الحميد هنداوي / المكتبة العصرية / بيروت ٢٠٠٢م .
٤١. علم أساليب البيان ، د/ غازى يموت / دار الأصالة ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٢
٤٢. علم الأسلوب/ د/ صلاح فضل/ مؤسسة مختار للنشر والتوزيع بالقاهرة
٤٣. العين للخليل بن أحمد / تحقيق وترتيب د/ عبد الحميد هنداوي / دار الكتب العلمية / بيروت ٢٠٠٠م .
٤٤. فتح القدير، للشوكاني، ط٣، مصورة ١٩٧٣م.
٤٥. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري / تح حسام الدين القدسي / دار الكتب العلمية بيروت
٤٦. فتح القدير، للشوكاني، ط٣، مصورة ١٩٧٣م.
٤٧. فقه اللغة وخصائص العربية – الثعالبي — دار الفكر ١٩٦٨
٤٨. القاموس المحيط، للفيروزابادي، دار الفكر، طبع مؤسسة الرسالة.
٤٩. الكاشف عن حقائق السنن للطيبي شرح مشكاة المصابيح / تحقيق: د/عبدالحميد هنداوي /مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة.

٥٠. الكتاب لسيبوية / تح عبد السلام هارون / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م .
٥١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / لجار الله الزمخشري/مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٣٩٢ هـ.
٥٢. لسان العرب لابن منظور / دار الفكر بيروت ١٤١٠هـ .
٥٣. المثل السائر لابن الأثير/طبعتين/تحقيق: محي الدين، ود. بدويت طبانة. ود. أحمد الحوفي/دار الرفاعي-/١٤٠٣هـ-١٩٨٣م. وط دار نهضة مصر-الفجالة-القاهرة.
٥٤. المحرر الوجيز لابن عطية / تح المجلس العلمي بفاس / وزارة الأوقاف المغربية ١٣٩٥هـ .
٥٥. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده / تح د عبد الحميد هنداوي / دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ
٥٦. المخصص لابن سيده / تح د عبد الحميد هنداوي / دار الكتب العلمية / بيروت ٢٠٠٥م.
٥٧. مداخل إلى علم الجمال الأدبي ـ د / عبد المنعم تليمة ـ دار الثقافة بالقاهرة سـ ١٩٧٣
٥٨. المصباح المنير للفيومي / مكتبة لبنان ١٩٨٧ م .
٥٩. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني / تح محمد سيد كيلاني/مصطفى الحلبي.
٦٠. مفتاح العلوم للسكاكي / تح د/عبد الحميد هنداوي/ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٢هـ

٦١. النص البلاغى فى التراث العربى والأدبى - ط مكتبة النصر - داخل جامعة القاهرة، مقال فى الأسلوب - جورج بوفون .

٦٢. نظرية الأدب - رينيه ويلك ، أولين أوشين - ط المجلس الأعلى للفنون والآداب ، دمشق سنة١٩٧٢م

٦٣. نظرية اللغة/ الفصل الثاني مستويان من اللغة د/ عبد الحكيم راضي / / مكتبة الخانجي .

٦٤. نهاية الإيجاز- الرازى - ط الأدبية.

٦٥. هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل البغدادي / مكتبة المثنى بغداد.

كتب للمؤلف

- جماليات سورة البقرة (أو البلاغة بين التنظير والتطبيق، مراعاة حال المتكلم في سورة البقرة).
- جواهر الأدب في كنوز كلام العرب.
- نظرات في تاريخ الأدب الجاهلي.
- معالم على طريق النقد الأدبي.
- أضواء على تراثنا النقدي.
- رسالة الأدب المقارن.
- رسالة الأدب في تراثنا النقدي.
- أضواء على مسيرة البلاغة العربية
- الموجز في تاريخ البلاغة العربية.
- الإعجاز الصرفي للقرآن الكريم.
- الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم.
- الإعجاز الدلالي للقرآن الكريم.
- الإعجاز الأسلوبي للقرآن الكريم.
- الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم دراسة أسلوبية للمعجم القرآني.
- الإعجاز النفسي للقرآن الكريم.
- سلسلة دراسات أسلوبية في القرآن الكريم

- سورة النازعات قراءة أسلوبية
- سورة (ق) قراءة أسلوبية.
- سورة نوح قراءة أسلوبية
- سورة (القمر) قراءة أسلوبية.
- نقد الشعر لقدامة بن جعفر.
- الدلالة الفنية للأصوات في ضوء الدرس الأسلوبي (دراسة نظرية تطبيقية).
- حلقات بلاغة الرسول.
- التكرار بين البلاغة القديمة والدرس الأسلوبي الحديث.
- التكرار الصوتي دراسة أسلوبية.
- أنماط المفارقة في شعر أحمد مطر
- دراسات في الإعجاز البلاغي.
- التفسير الأسلوبي في القرآن الكريم
- دراسات أسلوبية في القرآن الكريم
- دراسات بلاغية في القرآن الكريم
- مطابقة حال المتكلم فى القرآن الكريم – دراسة نظرية تطبيقية
- ضَمَائِرُ التَّكَلُّمِ الْمُعَبِّرَةُ عَنِ الذَّاتِ العَلِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دِرَاسَةٌ أُسْلُوبِيَّةٌ بَلاغِيَّةٌ

- التكرار الصوتي : سماته الأسلوبية ، ودلالاته الفنية – دراسة نظرية تطبيقية
- وجوه البيان في متشابه القرآن (متشابه التقديم والتأخير)
- التوظيف الفني للعدول في النص القرآني دراسة أسلوبية بلاغية
- دراسات نقدية : في جماليات القصيدة العربية
- تناغم الصيغ في التراث الشعري
- تداعيات البنية الصرفية في الشعر العربي المعاصر
- أنماط المفارقة في الشعر العربي المعاصر
- موجز تاريخ البلاغة ضمن مختصر السعد . تحقيق ودراسة
- مفهوم الأدب المقارن
- أضواء على تراثنا النقدي
- أضواء على تراثنا البلاغي
- الزهر الفواح في شرح الإيضاح
- البلاغة الميسرة
- البلاغة الحديثة

كتب للمؤلف

اسم الكتاب	اسم الكتاب
تيسير العقيدة للمسلم المعاصر	فصل الخطاب فى ضابط التقبه بأهل الكتاب
شرح الدروس المهمة لعامة الأمة	الصبح السافر فى جواب قول القائل من لم يكفر الكافر فهو كافر
المفهام القتالة في الرد على صاحب الاستحالة	اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية
الإفحام لمن زعم انقضاء عمر أمة الإسلام	إشكالية الجمع بين إثبات الصفات ودعوى المجاز
الفراغ نعمه أم نقمة	نودار السلف الصالح فى رعاية الأوقات
الحياة الطيبة	قصور الجنة لمن
الطريق إلى الجنة	النجاة من النار
الخوف من الله	إيقاظ الهمم قبل يوم الندم
وفاة الرسول ﷺ	سلسلة رحلة إلى الدار الأخرة عشرة أجزاء
رحلة الإسراء والمعراج	الترياق فى فضيلة الإنفاق
الجزاء من جنس العمل	بر الوالدين
صيد الخاطر لابن الجوزى	الداء والدواء لابن القيم
مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسى	كتاب التوابين لابن قدامة المقدسى
الجامع لأحكام زكاة الفطر	إعلام الأنام بحكم إخراج زكاة الفطر من غير الطعام
فتاوى النساء ضمن سلسلة فتاوى العلماء	تلخيص الكلام فى أحكام الصيام
قطع الجدال في ثبوت الهلال	رعاية الأوقات فى ترتيب الحقوق والمهمات
فتاوى وأحكام شهر الصيام	هدى خير الأنام فى صلاة القيام
الإتحاف فى آداب الاعتكاف	إعلام السعيد بآداب العيد
شرح الصدر فى بيان ليلة القدر	فتاوى الصيام لشيخ الإسلام
مرشد الحيران إلى أحوال الإنسان وهو كتاب فى تقنين الشريعة الإسلامية	كسر طاغوت الكهان المدعين للعلاج بالقرآن
الأطول على التلخيص	أسرار البلاغة للجرجانى
المطول على التلخيص	العمدة لابن رشيق
دلائل الإعجاز للجرجانى	الطراز للعلوى
من بلاغة الكتاب والسنة وهوالإمام الطيبى وتجديداته البلاغية	التوظيف البلاغى لصيغة الكلمة دراسات نظرية تطبيقية
البلاغة بين النظرية والتطبيق	أضواء على مسيرة البلاغة العربية
الإعجاز الصرفى للقرآن الكريم	لطائف التبيان فى المعانى والبيان للطيبى
بلاغات النساء لابن طيفور	التلخيص فى علوم البلاغة للقزوينى
الكاشف عن حقائق السنن وهو شرح بلاغى لمشكاة المصابيح للطيبى ١٣ مجلداً	التبيان فى المعانى والبيان للطيبى
علم البديع وفن الفصاحة للطيبى	الإيضاح فى علوم البلاغة للقزوينى
سلسلة دراسات أسلوبية فى القرآن الكريم	كيف تقرأ العمل الأدبى ؟
التكرار الصيغى فى الشعر العربى المعاصر	مجموعة شروح التلخيص فىعلوم البلاغة
عروس الأفراح شرح وتلخيص المفتاح للسبكى فى علوم البلاغة	شرح السعد على تلخيص المفتاح
مواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربى	شرح الدسوقى على التلخيص
شروح التبيان فى المعانى والبيان للطيبى وتلميذه على بن عيسى	الإعجاز الصوتى للقرآن الكريم
وجوه البلاغة فى متشابه القرآن	الدلالة الفنية للأصوات
التكرار فى الدراسات الأسلوبية الحديثة	معالم على طريقة النقد الأدبى

رسالة الأدب المقارن	الأدب المقارن: المفهوم والقيمة

قصص وكتابات أدبية

قصص الأنبياء	رجال حول الرسول ﷺ

الشعر والأدب

عنوان المرقصات المطربات لابن سعيد الأندلسى	الكامل فى اللغة والأدب والمبرد
بلاغات النساء لابن طيفور	مرآة المروآت للثعالبى
ديوان ليس شعرا	
معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدى	المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده
شرح المكودى على ألفية ابن مالك	حاشية الصبان على ألفية ابن مالك
شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك	شذا العرف فى فن الصرف
مفتاح العلوم للسكاكى	الكواكب الدرية شرح متممة الأجرومية
شذور الذهب لابن هشام	شرح ابن عقيل
قطر الندى وبل الصدى	همع الهوامع للسيوطى
حاشية الفاكهى على قطر الندى	إعراب مشكل الحديث للعكبرى
حاشية الدسوقى على مغنى اللبيب	مغنى اللبيب لابن هشام
مختصر شرح ابن عقيل	
البداية والنهاية لابن كثير أحد عشر مجلداً بالفهارس	صفة الصفوة لابن الجوزى
موجز سير الرسول ﷺ ضمن كتاب تيسير العقيدة للمسلم المعاصر للمؤلف	نعائم الأسحار فى فضائل الأخيار موسوعة فى صفات الصحابة
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه	العشرة المبشرون بالجنة
خلفاء الرسول ﷺ	من سير الصالحين
نساء حول الرسول ﷺ	تعريف الغلام بسير الأعلام
قصص الأنبياء لابن كثير	
رسالة إلى أخي الطالب	التزكية منهج تربوى شامل
تفسير آيات الأحكام للساس	تفسير الجامع لأحكام القرآن القرطبى
الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى	
مشكاة المصابيح للخطيب التبريزى ٣ مجلدات	شرح مشكاة المصابيح للطيبى ١٣ مجلداً
شرح إعراب مشكل الحديث للعكبرى	إثبات عذاب القبر للبيهقى
سلسلة الأربعينات للحديث النبوى	شروح أخر للمشكاة
كشف الخفاء للعجلونى	مقدمة ابن الصلاح
النهاية فى غريب الحديث	التقييد والإيضاح
منهج للقراءة والتعلم	
دراسات حول الجماعة والجماعات	حد الجماعة
الدعوة إلى الجماعة والائتلاف باعتزال جماعات الفرقة والاختلاف	العمل الجماعى أصوله وضوابطه

---

(١) الرافعي _ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ط المكتبة العصرية _ بيروت _ ص١٧١.

(٢) ابن سيده – المحكم – تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي / دار الكتب العلمية بيروت ٢٩٨/١.

(٣) الوجيز ص ٤٠٧.

(٤)السيوطي – الإتقان في علوم القرآن ١١٦/٢.

(٥)الباقلاني – إعجاز القرآن ص ٢٩٦.

(٦) الرسالة الشافية ص ١١٧.

(٧) النكت في إعجاز القرآن ص ١١٠.

(٨) الرسالة الشافية ص ١٢٩.

(٩) السابق ص ١٣٥.

(١٠) المقدمة: ٩٥.

(١١) انظر تفصيل هذا القول وتتبع القائلين به تتبعا تاريخيا منذ نشأته في كتاب الأستاذ محمود شاكر (مداخل إعجاز القرآن) وانظر على سبيل المثال ص٥٧-٦٩ وغيرها من المواضع حيث بين جذور هذا القول عند النظّام والجاحظ وغيرهما من المعتزلة، وقد عد الرماني في القرن الرابع الهجري الصرفة وجهًا من وجوه إعجاز القرآن حيث قال: "وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة والبلاغة والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة وقياسه بكل معجزة".[الرماني: النكت في إعجاز القرآن ص ٧٥.]

(١٢) انظر في بيان ذلك تفصيلا على سبيل المثال: إعجاز القرآن للرافعي ط المكتبة العصرية ص ١٦٠، حيث يقول: "لا جرم كان من الرأي الفائل والمذهب الباطل قول أولئك الذين زعموا أن الإعجاز كان بالصرفة، على ما عرفت من معناها". ومداخل إعجاز القرآن للشيخ محمود شاكر حيث عرض القضية في كتابه (مداخل إعجاز القرآن) عرضًا تاريخيًا لا يخلو من نقد ورأي وتحليل (٦٩-٧٧، ١٦٣،١٦٢) ومواضع أخر كثيرة وانظر أيضا د/ أحمد سيد محمد عمار في كتابه (نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم) ط دار الفكر دمشق ص ٥٢، هذا "وكتب الجاحظ فيها ذكر كثير للنظام، ومقتبسات كثيرة من فرائد بيانه، إلا أن الجاحظ لما سمع منه القول بالصرفة أنكره

إنكارًا واضحًا لا لبس فيه، وكلام الجاحظ قاطع بأن نظم القرآن لا طاقة لبشر به ....[الإعجاز البلاغي _ د/ محمد أبو موسى صـ٣٥٩] قال الجاحظ: "ولو أن رجلا قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة لتبين له في نظامها، ومخرجها عن لفظها، وطابعها أنه عاجز عن مثلها، ولو تحدى بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها". وهذا الفهم المستقيم لا يلتقي مع الصرفة من قريب ولا من بعيد وهو نص في بيان علة العجز وأنها كائنة في نظام الكلام ومخرجه من لفظه وطابعه، وأن العرب قد تبين لهم ذلك واستيقنوه وأنهم عجزوا عجز من يعرف علة عجزه، وليس عجز المتحير المصروف، وقد كتب الجاحظ كتابًا في هذا الباب سماه "الاحتجاج لنظم القرآن" والتسمية قاطعة في رفض الصرفة، وقد قال في نعته: "فلم أدع فيه مسألة لرافضي، ولا لحديثي، ولا لحشوي، ولا لكاف مباد، ولا لمنافق مقموع، ولا لأصحاب النظام، ولمن نجم بعد النظام ممن يزعم أن القرآن حق، وليس تأليفه بحجة، وأنه تنزيل، وليس ببرهان ولا دلالة". وهذا قاطع في رفض الصرفة" [السابق: ٣٦٠]، وقد اختلف العلماء في أمر الجاحظ لأجل أنه قد جاء في كلامه ما قد يعارض هذا القول انظر إعجاز القرآن للرافعي ص ١٦٥، وقد حاول د/ أبو موسى التوفيق بين القولين والانتصار لرفضه الصرفة، وانظر كلام الشيخ محمود شاكر في ذكره رفض الجاحظ هذه المقولة كذلك في كتابه مداخل إعجاز القرآن ص ٩٩، وانظر أيضا د/ محمد محمد أبو موسى في كتابه (الإعجاز البلاغي) ط مكتبة وهبة ص ٣٦٠ في بيانه مخالفة الجاحظ لمقولة الصرفة.

---

(13) بين الشيخ دليل ذلك بأن القرآن إنما نزل منجما ومفرقا، فلو لم يكن معجزًا قليله وكثيره لما كان الإعجاز والبرهان على النبوة قائمًا في زمن لم ينزل فيه سوى صدر سورة العلق أو قصار السور.

(14) انظر د/ عبد السلام المسدى – الأسلوبية والأسلوب – الدار العربية للكتاب – تونس ١٩٧٧ ص ٥٧

(15) انظر/ برند شبلنر/ علم اللغة والدراسات الأدبية/ ترجمة د/ محمود جاد الرب ص ٨١.

(16) انظر د/ أحمد درويش – النص البلاغي في التراث العربي والأدبي – ط مكتبة النصر – داخل جامعة القاهرة، مقال في الأسلوب – جورج بوفون ص ١٨٩-١٩٤، وأنظر مقالة بعنوان الأسلوب والأسلوبية، في فصول١/٨٤، ص ٦٠.

(17) عبد السلام المسدى – الأسلوبية والأسلوب – ص ٧٠-٧١- الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس ١٩٧٧.

(18) أحمد الشايب – الأسلوب ص ٣٦ – مكتبة النهضة المصرية – ٩ ش عدلى بالقاهرة ط٣.

(19) د/ صلاح فضل/ علم الأسلوب/ ١١٠/ مؤسسة مختار للنشر والتوزيع بالقاهرة، ونادى كذلك بتصور الأسلوب على أنه اختيار ماروزو، روسل، هل، ديفوتو، أنطوانى، كريسوت وغيرهم. انظر الأسلوبية والأسلوب ص ٩٨، برند شبلنر/ علم اللغة والدراسات الأدبية دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصى، ترجمه وقدم له وعلق عليه د/ محمد جاد الرب/ كلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض ط١ س١٩٨٧ نشر الدار الفنية بالقاهرة ص ٨١.

(20) د/ حسن طبل أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية س ١٩٩٠ ص ٣٥، وانظر علم الأسلوب ص ١٠٣.

(21) انظر اللغة العربية معناها ومبناها ص٣٢-٣١٧، د/ كمال بشر دور الكلم فى اللغة ص ١٢، وانظر عالم المعرفة. أحمد الشايب - الأسلوب ص ٣٦ - مكتبة النهضة المصرية - ٩ ش عدلى بالقاهرة ط٣.

(22) دلائل الإعجاز/ بتحقيق محمود شاكر ص ٤٣.

(23) المجاز هنا هو مصطلح أبى عبيدة فى كتابه مجاز القرآن وهو أوسع من الدلالة التى استقر عليها مصطلح المجاز فى الدراسات البلاغية.

(24) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ٩/١، البديع لابن المعتز ص ٥٨/٥٩، البرهان فى وجوه البيان لابن وهب الكاتب ص ١٥٣، الفروق لأبى هلال العسكرى ص ١٩٠، إعجاز القرآن للباقلانى ص ٢٧٣، ٢٧٤ المثل السائر لضياء الدين بن الأثير ١٦٧/٢، ١٦٩، ٢٤١، ٢٤٦ جوهر الكنز نجم الدين بن الأثير ص ١١٨-١١٩، الكشاف للزمخشرى ١٨٦/٢، ٢٠/٣، مفتاح العلوم للسكاكى ص ١٠٦ (المطبعة الأدبية)، الإيضاح للخطيب القزوينى ص ١٥٧(بتعليق د/ محمد خفاجى)، الطراز ليحى العلوى ١٣١/٢-١٣٢ ١٣٥- ١٣٦ ١٣٧، التبيان للطيبى= =٣٤٧/٢ بتحقيق / عبد الحميد هنداوى ط المكتبة التجارية بمكة، شروح التلخيص ٤٦٣/١ ٤٦٧ الخصائص لابن جنى ١/ ٢١٤ - ٢١٥ ٤١١، ١٨٨/٣ ٢٦٧، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د/ أحمد مطلوب ص ٢٩٦.

(25) انظر المسدى - الأسلوبية ص ٩٤.

---

(26)انظر الأسلوبية والأسلوب المسدى ص ٩٦، ٩٧ وقد اخترت التعبير عن هذه الظاهرة بلفظ العدول لأمور: أولها: أن هذا التعبير هو اختيار أغلب البلاغيين القدماء كما سبق أن أوردنا. ثانيها: أنه أدق فى التعبير عن الظاهرة ووصفها. ثالثها: أن لفظة الانحراف تشمل إيحاءات إضافية قد لا تناسب الظاهرة ولعل أهم هذه الإيحاءات هو إيحاء الخطأ وهو غير وارد فى مصطلح العدول. وانظر د/ محمد عبد المطلب/ بناء الأسلوب فى شعر الحداثة التكوين البديعى ص ٣٢٤، وانظر له أيضا البلاغة والأسلوبية ط الهيئة ١٩٨٤ ص ١٩٨.

(27) انظر علم الأسلوب ص ١٩٣.

(28) انظر نظرية اللغة فى النقد العربى ٢٤٩ ٢٥٠ وأسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية د/ حسن طبل ص ٤٦، ٥٢.

(29) انظر البحث المنشور في مجلة كلية الآداب – جامعة المنوفية – عدد يناير ٢٠٠٨

(٣٠) سورة ق : ١٦ .

31 لسان العرب ، والمحكم والمحيط الأعظم : حور

32 الوسيط :حور

33 المفردات في غريب القرآن : حور .

34 يحي بن محمد رمزي – الحوار : آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ص ٢٠

35 الكهف : ٣٤ .

36 الكهف : ٣٧ .

37 المجادلة :١

[38] يحي بن محمد رمزي – الحوار : آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ص ٢٠

[39] المحيط في اللغة – (ج ٢ / ص ٣٣٦)

[40] الصحاح في اللغة – (ج ١ / ص ٢٠٢)

[41] الأعراف :٩٦

[42] الأنفال

[43] لسان العرب – (ج ١١ / ص ٦٣٥)

[44] جمهرة اللغة – (ج ١ / ص ٤١٨)

[45] تفسير الألوسي – (ج ١٤ / ص ١٦٦)

[46] صحيح البخاري برقم (٤٩٣٥).

(٤٧) في ظلال القرءان (٣٣٦١/٦).

[48] التحرير والتنوير (ج ٩ / ص ٥٤)

[49] التحرير والتنوير (ج ٩ / ص ٥٤)

[50] تفسير القرطبي – (ج ١٨ / ص ٣٠٦)

[51] الكشاف – (ج ٤ / ص ٢١٨)

[52] تفسير القرطبي – دار احياء التراث العربي – (ج ٧ / ص ٣٥٢)

[53] لسان العرب – (ج ١١ / ص ٦٣٥)

[54] لسان العرب – (ج ١١ / ص ٦٣٥)

[55] تفسير الألوسي (ج ٢١ / ص ٣٠٨)

[56] تفسير الألوسي (ج ٢١ / ص ٣٠٤)

[57] تفسير الألوسي (ج ٢١ / ص ٣٠٦)

[58] تفسير الألوسي (ج ٢١ / ص ٣٠٨)

[59] الروم

[60] تفسير القرطبي – دار احياء التراث العربي (ج ١٨ / ص ٣٠٠)

[61] تفسير الألوسي (ج ٢١ / ص ٣١٠)

[62] فتح القدير – (ج ٧ / ص ٣١٢)

[63] فتح القدير – (ج ٧ / ص ٣١٢)

(64) الألوسى ٢٩/ ٧٥– الدر المصون ٣٨٤/٦– الكشاف ١٢٤/٤.

(65) الكشاف/ السابق، المحرر ٣٧٥/٥، الألوسى السابق، الدر المصون السابق.

(66) الرازى ٧٤٣/١٥–٧٤٤.

[67] تفسير الرازي – (ج ١٦ / ص ٥٨)

[68] تفسير البيضاوي (ج ٥ / ص ٣٢٩)

(69) انظر نظرية اللغة فى النقد العربى ٢٤٩ ٢٥٠ وأسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية د/ حسن طبل ص ٤٦، ٥٢.وانظر علم الأسلوب ص ١٩٣. ، وقد سبق بيان ذلك النوع من العدول في حديثنا عن الأسلوبية في بداية البحث .

[70] هود

[71] البروج